جاك شيراك

المستعجل

عناده السياسى فاق فيه جميع ساسة فرنسا ، ولكنه – مثل كل الفرنسيين – يحب الطعام الجيد والشراب الجيد والصحبة الجميلة ..

فهو مقبل على الحياة عاشق لها ، أمضى ١٤ عاما من عمره لعاصمة بلاده ، كما أنه ظل زعيما للحزب الديجولى لمدة ١٦ سنة .. وفى الخريف الماضى دعا أعضاء حزبه إلى اجتماع طارئ لكى يحصل منهم على تفويض لهم بأن يكون مرشح الحزب الوحيد للرئاسة ، واجتمع أعضاء الحزب الذين اقترب عددهم من الألف ، ولكنهم لم يعطوه التفويض الذى طلبه ، فلم يوافقوا على اختياره مرشحا أوحد ، وإنما وجهوا له الشكر على زعامته لحزبهم ، تلك الزعامة التى بدأت عام ١٩٧٨ ، وبعد أن شكروه .. استجابوا لرغبته فى ترك زعامة الحزب لكى يتفرغ لمعركة الرئاسة ..

وهكذا أصبح أول مرشح « جاد » للرئاسة ، قبل أكثر من خمسة أشهر من موعد إجراء الانتخابات .. وقبله تقدم خمسة مرشحين غير جادين ، ولا أمل لهم فى النجاح ، بينهم زعيم الحزب الشيوعى وبعده جاء بلادور ، رئيس الوزراء ، فأعلن ترشيحه ، وبذلك أصبحت المعركة محصورة بين اثنين يجمع بينهما تيار واحد هو تيار اليمين ، وينتميان إلى حزب واحد هو الحزب الديجولى . وكان لابد من دخول مرشح يسارى . وفى البداية تردد اسم جاك ديلور الاشتراكى الذى

شغل منصب رئيس المفوضية الأوروبية حتى يناير الماضى ، ولكن ديلور اعتذر عن عدم الترشيح ، فتقدم اشتراكى آخر هو ليونيل جوسبان .

وجاءت الاستطلاعات الأولى للرأى العام تشير إلى أن جاك شيراك يأتى فى المرتبة الثالثة بعد بلادور وجوسبان .. إلا أن شيراك استخف بهذه الاستطلاعات ، وقال فى ذلك الوقت : « إن كل معارك الرئاسة الأخيرة أظهرت أن المرشح الذى يأتى فى المقدمة قبل ستة شهور من موعد الانتخابات هو الذى يخسر فى النهاية » .. وصدقت نبوءته ، فإن بلادور الذى كان الأول فى بداية السباق أصبح الأخير فى نهاية السباق .

وعندما أراد شيراك أن يعلن ترشيح نفسه .. فإنه لم يشأ أن يصدر هذا الإعلان من العاصمة التى يتولى عموديتها ، وإنما اختار مدينة صغيرة فى الشمال هى مدينة « ليل » وذلك لحكمة ارتآها فى ذلك الوقت . فهذه المدينة هى مسقط رأس شارل ديجول رئيس فرنسا الراحل وبطل تحريرها فى الحرب العالمية الثانية ، فكأنما أراد أن يقول للناخبين أنه هو خليفة ديجول نصا وروحا ، فهو ليس فقط زعيم الحزب الديجولى ، وإنما هو يتحدث من قلعة ديجول !

وقبل ذلك كان هناك اتفاق ضمنى بين أقطاب الحزب الديجولى على اجراء تصفيات بين راغبى الترشيح للرئاسة ، بحيث يجرى اختيار مرشح الحزب من خلال عملية اقتراع حزبية يشترك فيها

جميع الأعضاء .. ولكن شيراك تعجل الأمور ، وبادر إلى إطلاق قذيفة بدء السباق قبل أى إجراء حزبى ، ودون أن يأخذ رأى القاعدة الشعبية للحزب .

كذلك فإنه لم يشأ أن يعلن نبأ دخوله إلى الحلبة فى مؤتمر عام أو حتى فى تصريح لإحدى الصحف القومية الكبرى ، وإنما اختار صحيفة إقليمية صغيرة اسمها « صوت الشمال » تصدر فى ليل ، لكى يدلى لمندوبها بالنبأ القنبلة الذى أحدث دويا هائلا فى العاصمة باريس ، وأيضا فى شتى عواصم الدول الأخرى .

وتردد همهمات كثيرة .. ففى باريس قالوا : «إن هذه هى الانتخابات التى لا يستطيع شيراك أن يخسرها» .. وعندما بدأت الاستطلاعات تشير إلى تحسين موقفه قالوا : « لن يقدر شيراك على انتزاع الهزيمة من بين أنياب الانتصار المقدر له .. إن قصر الاليزيه أصبح على مرمى حجر من مقر العمودية .. ولحظة الصعود قد حانت » !

وعندما أظهرت الجولة الأولى لانتخابات الرئاسة أن المرشح الاشتراكى تفوق على شيراك كتبت صحيفة «ليبراسيون» . التى تمثل يسار الوسط – عنوانا مثيرا باللون الأحمر : « شيراك .. ريك راك » .

وخلال معركة الرئاسة اتخذ من ابنته كلود مستشارة له .. وأشارت عليه بأن يقطع البلاد طولا وعرضا ، وأن يتجول فى مختلف المدن والقرى ، وبالفعل قطع أكثر من ٢٥ ألف كيلومتر وصافح ملايين الأيدى .

أما زوجته برناديت فقالت : يبدو أن الشعب الفرنسى لا يحب زوجى .. فقد خذله مرتين من قبل !

فهو سبق أن رشح نفسه لرئاسة عام ١٩٨١ وسقط ثم عام ١٩٨٨ وسقط حتى قيل إنه لا يجيد شيئا سوى الترشيح للرئاسة ، وفى المرتين جاءت هزيمته أمام الرئيس (الاشتراكى) فرانسوا ميتران ، الذى تنتهى فترة رئاسته الثانية والأخيرة بعد ثمانية أيام .

لذلك رأى شيراك أن يبدأ المعركة هذه المرة مبكرا جدا وعينه على ميتران المريض بالسرطان ، الذى قد تستوجب حالته الصحية التبكير بإجراء انتخابات الرئاسة قبل الموعد المقرر لها .. ولكن ميتران أكد أنه سيظل يمارس مهامه فى قصر الاليزية حتى آخر يوم فى رئاسته ، ولم يقل « آخر يوم فى حياته » ..

وفى معركة الرئاسة الأخيرة كان شيراك يبدو أنضج وأهدأ ، وأقل كلاما أما مهاتراته وشتائمه فقد نزلت إلى الحد الأدنى .

واتخذ من شجرة التفاح رمزا له ، وأصبح شعاره « فرنسا للجميع بلا تمييز ولا تفرقة » ، واستطاع أن يحتفظ بمؤيديه التقليديين من المزارعين وصغار رجال الأعمال والطبقة المتوسطة ، وأضاف إليهم ثلث أصوات الشباب وربع أصوات العمال بعد أن أعلن برنامجه فى محاربة الفقر ومعالجة مشكلة البطالة .

أما دعوته إلى إقامة « أوروبا شعبية » بدلا من « الاتحاد الأوروبى

الذى يدير شئونه التكنوقراط القابعون فى بروكسل » فقد أفقدته الكثير من أصوات اليمين التى « طفشت » إلى المرشح العنصرى المتطرف جان مارى لوبان .. ومن أقواله المأثورة التى رددها خلال حملته الانتخابية : « إن المغالاة فى فرض الضرائب من شأنها أن تقتل النظام الضريبى » .

وخلال المعركة قال خصومه أنه دائما مستعجل .. فقد تعجل فى إعلان ترشيح نفسه قبل الموعد بحوالى ستة أشهر ، وقبلها تعجل فى الترشيح مرتين .

وقالوا أيضا أن الاستعجال يجعله يتعثر ويسقط ثم يقوم دون أن يدرك أسباب تعثره .. وهو عندما سئل عن سبب التعجيل فى ترشيح نفسه قال : أن تأخير إعلان المرشحين لنواياهم هو نوع من النفاق الذى يبعث فى البلاد « جوا غير صحى » .

وهو يهوى المسلسلات البوليسية المتلاحقة الأحداث ، ولا يحب الموسيقى الكلاسيكية ولا الأوبرا لأن ايقاعها بطئ ..

لذلك فإنه عندما أعلن التليفزيون الفرنسى أنه سيجرى مناظرة بينه وبين منافسه الاشتراكى .. ترقب المشاهدون موعدها بصبر نافذ ، وفى يوم إجرائها تجمع أكثر من ٣٠ مليون فرنسى أمام الشاشات الصغيرة ، إلا أنهم سرعان ما أصيبوا بخيبة أمل لأن المناظرة جاءت فاترة ومملة فى بعض حواراتها ، فلم تكن فيها اتهامات ولا مهاترات ،

وبدا فيها شيراك هادئا أكثر من المعتاد ، فلم تكد تمضى نصف ساعة حتى تحول المشاهدون إلى البحث من قنوات أخرى .. فى حين استمرت المناظرة ساعتين وعشر دقائق بلا مشاهدين تقريبا !

وقبل هذه المناظرة الفاترة أقام رجل عاطل دعوة قضائية ضد شيراك يتهمه فيها باستغلال النفوذ كعمدة لباريس ، حيث استأجر شقة فاخرة على نهر السين ولم يكن يدفع إلا ثلث قيمتها الايجارية .. ومثل هذا الاتهام لم يجئ ذكره فى المناظرة ، لشدة أسف المشاهدين !

ومنذ أن أسس ديجول الجمهورية الفرنسية الخامسة عام ١٩٥٩ ظل مرشحو الرئاسة يلجأون إلى التليفزيون كوسيلة دعاية .. وقد حدث فى انتخابات الرئاسة التى أجريت عام ١٩٧٤ أن اعترض شيراك على المرشح الديجولى ميشيل ديلماس الذى كان أحد أبطال المقاومة الشعبية ضد الاحتلال النازى ، وبسبب هذا الاعتراض سقط ديلماس وفاز المرشح المناوئ للديجولية وهو فاليرى جيسكار ديستان ، الذى كافأ شيراك بتعيينه رئيسا للوزارة .

وبعد سنتين اختلف معه فاستقال من رئاسة الوزراء ، ورشح نفسه نصب عمدة باريس وتحدى ديستان ان يترك الرئاسة وينافسه على لعمودية ! .. وعندما فاز شيراك أصبح أول عمدة منتخب للعاصمة فرنسية بعد مائة سنة من الغاء هذا المنصب أى منذ الثورة العمالية عام ١٨٧١ التى عرفت باسم « كميونة باريس » .

والحزب الديجولى الذى يتزعمه شيراك اسمه « التجمع من أجل

الجمهورية » وهو الذى أسسه عام ١٩٧٨ ليكون ترديدا لصيحة ديجول المشهورة بعد تحرير فرنسا : « التجمع من أجل الوطن » .

وكان شيراك فى بداية حياته السياسية قد استسلم للنزعة اليسارية التى كانت « موضة » فرنسية فى نهاية الأربعينات ، ثم حدث أن حصل على منحة فى جامعة هارفارد الأمريكية ، وعندئذ فوجئ بصعوبة كبيرة فى الحصول على تأشيرة دخول للولايات المتحدة لأن السلطات الأمريكية اعتبرته « شيوعيا » .. وكان ذلك فى أوج هستيريا « المكارثية » التى كانت تفزع من كل ما هو يسارى ولا تعى الفرق بين الاشتراكية الديمقراطية والاشتراكية « العلمية » .

وفى هارفارد بهرته الحياة الجديدة وتعرف على زميلة أمريكية وأحبها ، وخطبها ، وقرر أن يحصل على الجنسية الأمريكية ويعيش بقية حياته فى مدينة بوسطن ، إلا أن خطيبته لم تلبث أن غضبت عليه ، وفسخت الخطبة ، فلم يجد بدا من العودة إلى الوطن .

وفى الستينات رشح نفسه للبرلمان وأصبح نائبا قبل أن يتم ٣٥ سنة ، وعندما بلغ عمره ٤٠ سنة أصبح وزيرا ثم رئيسا للوزراء بعد سبع سنوات .

.. وعاد إلى رئاسة الوزارة عام ١٩٨٦ فى ظل رئاسة ميتران ثم اختلف معه ، وترك الحكومة ورجع إلى عمودية باريس التى اعتبرها قاعدة للانطلاق إلى الرئاسة الأولى .

الملكة اليزابث . .

فى مهب العاصفة

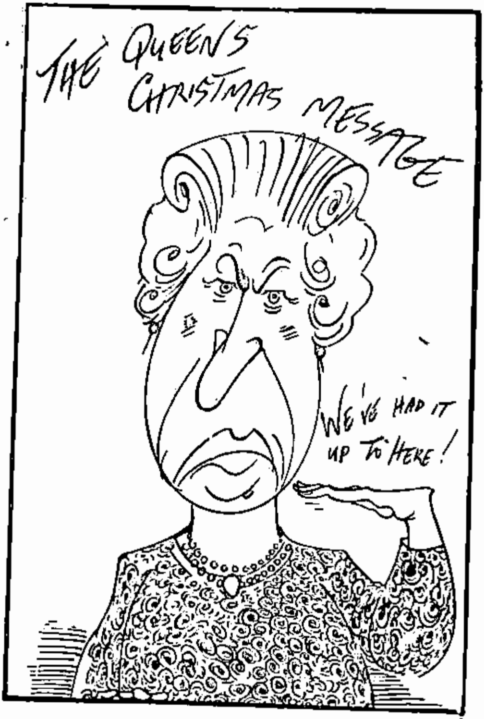

فى شهر فبراير الحالى تحتفل الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطان بعيد جلوسها الثالث والأربعين . وبعد شهرين تحتفل بعيد ميلاده التاسع والستين .. وبعد سبعة أشهر أخرى يكمل ابنها وولى عهده الأمير تشارلز عامه الـ ٤٧ .

ولا يبدو أن هناك انتقالا وشيكا للعرش من الأم إلى الابن ، ولكن الذى يتردد الآن هو الخوف على مصير الأسرة المالكة بأسرها .

فى هذه الأيام تبرز الصحف البريطانية – مرة أخرى – الكلمه التى قيل أنها صدرت عن ملك مصر السابق فاروق ، والتى تنبأ فيه بأنه قبل أن ينتهى القرن الحالى .. لن يبقى فى العالم سوى خمس ملوك هم ملوك الكوتشينة الأربعة وملك بريطانيا وتضيف الصحف أن فاروقا لم يكن يقصد أن ملكة بريطانيا ستصبح هى « الجوكر »

ولقد شهد القرن العشرون بالفعل سقوط الكثير من الأسـ الحاكمة .. فى حين أن الأسرة المالكة البريطانية بدت وكأنها تزداد قوة ورسوخا وشعبية ! ومنذ أكثر من مائة عام وفى أوج فتر حكم الملكة فكتوريا ظهرت شكوك حول امكانية استمرار الأسر المالكة .. وتجددت هذه الشكوك خلال سنوات الحرب العالمـ الأولى حيث أخذ الحديث يدور همسا حول الجذور الألمانية للأسـ

المالكة البريطانية بينما بريطانيا غارقة لأذنيها فى حرب ضد ألمانيا وقبل انتهاء الحرب تقرر تغيير اسم الأسرة رسميا من « آل ساكس كوبورج جوتا » إلى آل وندسور وتحوله الحديث الهامس إلى كلام صاخب بعد أن اختار الملك إدوارد الثامن فى عام ١٩٣٦ – أن يتنازل عن العرش فى سبيل الزواج بامرأة أجنبية ومن عامة شعب الولايات المتحدة وسبق لها الزواج والطلاق مرتين وهذا الملك الذى حمل لقب دوق وندسور بعد تنازله عن العرش هو عم الملكة اليزابث .

إلا أن مثل هذه الشكوك لم تعد للظهور منذ أن جلست الملكة اليزابث على عرش آل وندسور فى ٦ فبراير ١٩٥٧ ومع ذلك فإن فترة حكم الملكة اليزابث واجهت الكثير من العواصف ، وكانت أولى هذه العواصف تتمثل فى دخول كاميرات التليفزيون البريطانى إلى داخل القصور الملكية لكى تعرض على الشاشة الصغيرة حفلات الزفاف الملكى وحفل تنصيب الأمير تشارلز وليا للعهد ومن ثم فقد زال جو الغموض الذى يكتنف الجماهير فى نظرتها إلى الأسرة المالكة .. وزال معه جو الرهبة الذى كان يميز الأسرة ورفعها إلى مرتبة خاصة من التبجيل ، وهو أمر مطلوب لأية أسرة مالكة فى العالم .

وفى عام ١٩٦٩ استطاع السكرتير الصحفى للملكة أن يقنعها بالسماح للتليفزيون بأن يلتقط فيلما كاملا للحياة اليومية للأسرة المالكة على الطبيعة بكل ما تنطوى عليه من علاقات إنسانية ..

وعندما عرض هذا الفيلم فى نفس العام .. أصيب الرأى العام البريطانى بما يشبه الصدمة ..

وتمزق نهائيا كل ما بقى من ستار الغموض الذى كان يغلف الأسرة المالكة فى عام ١٩٨١ خلال زفاف الأمير تشارلز (أمير ويلز) على ليدى ديانا سبنسر .. منذ ذلك الوقت أصبحت المناسبات الاجتماعية للأسرة نوعا من الفرجة الممتعة للشعب .. وتحول أعضاء الأسرة إلى الأدلاء بأحاديث صريحة إلى أجهزة الإعلام المختلفة ، يتناولون فيها أدق أسرار حياتهم الخاصة .. بل وصل الأمر إلى حد أن بعض أعضاء الأسرة كانوا هم الذين يتصلون بالتليفزيون ويعرضون عليه أفكار برامج جديدة لتصويرها داخل القصور الملكية .. وكان الفنيون فى التليفزيون كثيرا ما يرفضون هذه الأفكار !

وفى دهاليز الصحف البريطانية يقولون إن الملكة ليس لها سيطرة على أفراد الأسرة ، وإن كل فرد منهم يتصرف مستقلا عن الباقين بل أن الرابطة بينهم تكاد تكون مقطوعة ..

وأول درس يتعلمه موظفو القصر الملكى هو أن « أبناء الملكة لا يخطئون » .. وكثيرا ما يبدى مستشارو الملكة رأيا حول تصرف هؤلاء الأبناء ، فإذا لم يرق هذا الرأى للأبناء .. فإن الملكة لا تستمع له وإنما تنحاز تلقائيا لجانب أبنائها ويقول صديق قديم

للأسرة : فى الماضى لم تكن للملكة أى سيطرة على شقيقتها الأميرة مارجريت ، عندما دخلت هذه الأميرة فى مغامرات عاطفية كانت حديث المجتمع البريطانى ، وانتهى بها الأمر إلى الطلاق .. والآن أيضا لا يبدو أن الملكة لها سيطرة على ابنتها الأميرة أن .. التى دخلت هى الأخرى فى مغامرات عاطفية أدت إلى انفصالها عن زوجها ، وأصبح طلاقها منه وشيكا كذلك فإن اثنين من أبناء الملكة أصبحا منفصلين عن زوجتيهما .. وكل فرد من أفراد الأسرة يعيش الحياة التى تحلو له ، ولا تريد الملكة أن تفرض سلطتها - كأم - على أولادها - الأمر الذى يثير قلق مجلس البلاط - وفى نفس الوقت يفتح شهية صحف الإثارة .

بل أن بعض هذه الصحف تقول إن الملكة نفسها تعيش مع زوجها بلا حب ، وإنما هى مجرد علاقة اجتماعية تحافظ عليها على مضض .

وأنصار الملكية التقليديون هم حزب المحافظين والطبقة الأرستقراطية . وفى الفترة الأخيرة نشط الجناح الليبرالى فى حزب المحافظين حيث يرى هذا الجناح أن استمرار حكومة المحافظين فى تقليص دور « الدولة » وتحويل المشروعات الكبرى إلى القطاع الخاص سيؤدى فى النهاية إلى أن ترفع الدولة يدها عن القصور الملكية وتصبح الأسرة المالكة قطاعا خاصا ..

بل أن بعض الساسة أصبحوا الآن يشككون فى « شرعية »

النظام الملكى حيث يقول البروفسور ستيفان هازيلر - قطب الحزب الاشتراكى الديمقراطى - لماذا تكون رئاسة الدولة منصبا وراثيا ؟ إن هذا يحرم أى مواطن بريطانى من فرصة الوصول إلى هذا المنصب . لماذا لا نكون مثل الولايات المتحدة حيث كل طفل يولد .. يحلم والداه بأنه يوما ما قد يصبح رئيسا للجمهورية .

أما الطبقة الأرستقراطية التى ترى فى استمرار الملكية دعامة للاستقرار وسط عالم يموج بالقلاقل فإنها طبقة آخذة الآن فى الاندثار ..

وتقول صحف لندن : عندما يصبح بقاء الملكية مرتبطا بالمحافظة على حركة السياح الأجانب الذين يجيئون لكى يتفرجوا على المناسبات التى تشارك فيها الملكة .. ولكى يتجولوا داخل القصر الملكى فمعنى ذلك أن الملكية البريطانية تعيش الآن فى الوقت الضائع والجدير بالذكر بالذكر أن النظام الملكى فى بريطانيا عمره الآن ١١٠٠ سنة .

وفى المناسبات الملكية تدعو الملكة اليزابث أنماطا من المجتمع البريطانى .. وجرت العادة ألا يظهر بينهم أى ضيف أسود أو ملون . ووسط خدم وموظفى القصور الملكية لا يمكن أن تلمح وجها أسود أو ملونا .. رغم أن هذه الاجناس غير البيضاء تشكل حوالى ٣٠ فى المائة من موظفى وخدم فنادق لندن .

وحدث مرة أن سئلت فى ذلك متحدثة باسم قصر باكنجهام فقالت عندنا فى القصر فتاة من جزر الكاريبى تتولى تقديم القهوة لخدم القصر البيض !

هذا الاتجاه إلى نبذ الملونين هو ما يحاول الآن الأمير تشارلز أن يغيره ، فهو قد رفع شعار « حق المواطنة للجميع بلا تفرقة » وهو يرى أنه عندما يصبح ملكا فسيكون اهتمامه بالتغيير ولو على حساب الاستقرار وبالتجربة والخطأ بدلا من الاستمرارية على النمط السابق وبالركون إلى المغامرة مهما كانت تعنى عدم الأمان ، وباللجوء إلى البدعة كبديل للسير على العادة المعتادة .

ويقول كتاب صدر منذ خمس سنوات فى لندن أن ولى العهد يريد أن يدخل بريسترويكا من نوع آخر إلى الأسرة المالكة وأنه سوف يدرك - متأخرا - مثلما أدرك جورباتشوف أن البريسترويكا لها ثمن فادح . وأنه بمجرد أن يفتح الباب أمام رياح التغيير فإنه سيصبح عاجزا عن اغلاقه عندما تتحول الرياح إلى أعاصير .. وقد لا يقف الأمر عند حد العصف بالملك المرتقب وإنما قد يصبح النظام الملكى كله فى مهب الريح ، وقد يصبح الأمير تشارلز هو آخر ملوك المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال أيرلندا .

وقد لا يصبح الأمير تشارلز ملكا إلا بعد أن يتجاوز الستين مثلما حدث مع الملكة فكتوريا التى ظلت تتمسك بالبقاء على العرش حتى آخر يوم فى حياتها التى امتدت إلى ٨٢ سنة ، وعندما وافتها المنية فى مطلع هذا القرن كان ابنها الأكبر وولى عهدها إدوارد السابع قد بلغ ٦١ سنة ولم يهنأ بالجلوس على العرش أكثر من تسع سنوات .

والملكة اليزابيث هى أغنى امرأة فى العالم .. كما أنها تأتى فى مقدمة أغنى أغنياء بريطانيا من الرجال والنساء على السواء وآخر التقديرات تشير إلى أن ثروتها تتجاوز خمسة آلاف مليون جنيه استرلينى .

وعندما طالب الشعب أخيرا بأن تؤدى الملكة ضرائب إيراداتها قالت ما معناه : منين ؟

وهى تمتلك ثلاثمائة قبعة مختلفة الأشكال والألوان وتسعى إلى اقتناء المزيد من القبعات وتشكو من أن مصممى الأزياء لم يبتكروا موديلات القبعات بما فيه الكفاية !

وفى نوفمبر ١٩٩٢ شب حريق كبير فى قصر وندسور بغرب لندن استمر ثمانى ساعات وأتى على العديد من اللوحات الأثرية والتحف والطنافس التى لا تقدر بثمن أما تكاليف ترميم القصر فقد قدرت بنحو ٤٠ مليون جنيه استرلينى .. وبدأ أصحاب النوايا الطيبة الترويج لحملة من أجل جمع التبرعات لتمويل هذا الترميم .. ولكن مجموع التبرعات التى حصلت فى ستة أشهر لم تتجاوز ٢٥ ألف جنيه !

وأسقط فى يد الملكة » فقررت أن تفتح أبواب قصر باكنجهام للسياح كوسيلة لجمع مبلغ الأربعين مليون جنيه لترميم قصر وندسور وإعادته إلى سيرته الأولى .

ديانا سبنسر

الأميرة الشاردة

وقع المحظور ، وأعلن انفصال أمير ويلز عن أميرة ويلز .. بلا طلاق . وإن كان المرجح أن تتم خلال الشهور القادمة اجراءات الطلاق لاسيما بعد الحديث التليفزيونى الذى أذاعته يوم ٢٠ نوفمبر الماضى وكشفت فيه كل أسرار علاقاتها بالأسرة المالكة .

والأمر الذى يهم الأسرة المالكة البريطانية الآن هو كيفية اتمام زواج الأمير من امرأة أخرى بعد طلاقه من ديانا سبنسر ؟

نظرا لأن قانون الكنيسة يقضى بأن عضو الأسرة المالكة المطلق لا يحق له الزواج مرة ثانية ..

هل تستطيع الملكة اليزابيث الثانية أن توعز إلى البرلمان بأن يعدل القانون بالشكل الذى يسمح لابنها وولى عهدها بأن يقترن بزوجة أخرى ، تصبح هى الملكة الجديدة عندما يمسى الأمير ملكا على المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال أيرلندا ؟

وهل يمكن للملكة اليزابيث أن تتنازل عن العرش – فى موعد مناسب – لولى عهدها ، مطمئنة إلى أنه قد نضج لتولى الملك وأصبح فى كنف زوجة جديدة « عاقلة » من وجهة نظر الأسرة المالكة ؟

فالنظرة الآن إلى ديانا – مثلما كانت النظرة قبلها إلى سارة

فيرجسون – هى أنها فتاة غير سوية وغير جديرة بأن تصبح ملكة وزوجة للملك ! .. هل كانت ديانا غير سوية وغير جديرة بالدخول إلى كنف الأسرة المالكة البريطانية ذات التقاليد العريقة ؟

فى يوم ٢٤ فبراير ١٩٨١ قبل شهور قليلة من زفافها إلى الأمير تشارلز .. قالت فى حديث تليفزيونى : « هذا هو ما أريده .. فبوجود تشارلز إلى جانبى لا يمكن أن أخطئ » ..

وحصلت بالفعل على ما أرادت ، وأصبح الأمير تشارلز موجودا بجانبها ، ولكن حدث خطأ ما أدى إلى الانفصال .. والآن فإن الأمير تشارلز لم يعد بجانبها فهل يمكن أن تصحح الخطأ الذى وقع بالفعل ؟

فى السنوات الأخيرة واجهت وحدها أقوى أسرة فى العالم . وهى الأسرة المالكة البريطانية – واستطاعت أن تنتصر عليها ، وأن تحصل على ما تريد وهو الانفصال عن الأمير .. وفى نفس الوقت استطاعت أن تحافظ على لقب « أميرة » وعلى حقها فى أن تكون ملكة فى المستقبل ، وعلى مخصصاتها ، وعلى حريتها فى التصرف فى حياتها وفى سلوكها بلا رقابة ولا قيود ، وأيضا على حقها فى مشاهدة أولادها وتربيتهم بطريقتها .

وهذا انتصار ملحوظ لامرأة لم يتجاوز عمرها ٣٣ سنة .. ولم تعرف السعادة الحقيقية منذ سنوات طفولتها الأولى .

فعندما كانت فى السادسة رأت أمها تفارق أبيها ، وتغادر بيت الأسرة نهائيا .. وحدث الطلاق بين الأب والأم ، وكان حدثا مدويا بالنسبة للابنة ..

وهى ما زالت تذكر حتى الآن كيف أنها فى كل ليلة كانت تسمع بكاء شقيقها الصغير وهو ينادى على أمه .. كانت غرفة هذا الشقيق الصغير على مسافة بعيدة من غرفة ديانا .. ولم تكن تستطيع أن تتوجه إليه لكى تهدئ من روعه أو لكى تمسح دموعه .. لأنها كانت ترتعد من السير فى الظلام .. وكانت تعليمات الأب واضحة فى عدم إيقاد النور أثناء الليل .

كان أبوها يحمل لقب « إيرل » .. وكان الجميع يرهبون جانبه .

ولم يتردد فى الزواج بامرأة أخرى بعد أن طلق والدة ديانا .. وحملت الزوجة الجديدة لقب « كونتيسة دارتموث » .. وكانت ديانا تكن لها قدرا هائلا من الكراهية وتسميها الزوبعة ذات الأمطار الحمضية .

واضطرت أميرة ويلز أن تترك المدرسة وأن تبدأ حياتها العملية قبل أن تكمل العام الثامن عشر من عمرها .. فهى لم تدرس فى أى جامعة أو معهد عال ..

وإنما اشتغلت مدرسة فى روضة أطفال ، بأجر لا يفى باحتياجاتها .

وكانت شقيقتها الكبرى سارة – التى أصبحت وصيفتها فيما بعد – تستدعيها لكى تنظف لها البيت مقابل أجر قدره جنيه واحد عن كل ساعة عمل .

قبل الزواج كانت تحس أنها « تلطمت » ما بين تحمل شغب الأطفال وبين العمل شبه خادمة فى بيت شقيقتها المتزوجة .

وجاء زواجها من الأمير تشارلز فنقلها فجأة إلى مرتبة النجومية ، وإلى مصاف ملكات الجمال ، وربات الصون والعفاف ..

واتوا لها بالحلاقين الذين استحدثوا لها تسريحة شعر .. أصبحت موضة العصر .. وجاءوا لها بمصممى الأزياء الذين ابتكروا تصميمات فريدة لملابسها .. ثم زينت جيدها وصدرها وأذنيها وأصابعها بمجوهرات قصر وندسور التى تتوارثها أميرات ويلز منذ مئات السنين .

والذين عرفوها فى تلك الفترة قالوا أنها أحبت الأمير تشارلز بجنون .. فهى لم تكن تعرف الاعتدال فى الحب أو فى الكره .. أما الأمير فكان معتدلا فى عواطفه .. أو أقرب إلى البرود !

وكانت تكرس نفسها وطاقتها لأية مهمة توكل إليها .. كانت تؤدى دورها من كل قلبها .. وأرادت أن تكون على أقصى درجة من الإخلاص للأسرة المالكة التى صاهرتها وللمهام الاجتماعية الموكولة إليها .. وأحست بها قلوب الملايين داخل بريطانيا وخارجها ، فأحبها الجميع وأدركوا أنها أميرة من طراز خاص .

فى نوفمبر ١٩٩٣ قامت برحلة إلى فرنسا .. ذهبت بمفردها بينما كان زوجها يحتفل فى بلاده بعيد ميلاده الرابع والأربعين . وفى باريس استقبلها الرئيس الفرنسى السابق ميتران ، وخصص لها أربعين دقيقة وسط مشاغله الكثيرة ، لكى يتحدث إليها حديثا مطولا هو وقرينته ، كله محبة واحترام .

وفى نوفمبر الماضى قامت بزيارة للأرجنتين بعد أن نصبت نفسها « سفيرة متجولة » . ولكن سيدة أرجنتينية هاجمتها ووجهت لها شتائم نابية ، لأن القوات البريطانية قتلت ابنها فى حرب فوكلاند .

عندا قابلتها الأم تيريزا الحاصلة على جائزة نوبل للسلام قالت عنها : « هذه الأميرة تؤدى رسالة سماوية بينما أقدامها ثابتة على الأرض » .. أما الصحف البريطانية فتقول عنها الآن أنها أشهر امرأة فى العالم !

وفى الهند حيث تعيش الأم تيريزا .. وبعد أن التقت بها أميرة ويلز ، توجهت لزيارة قصر « تاج محل » الشهير ، ووقفت أمام واجهته المبهرة صامتة مطرقة الرأس ، وخيل لمرافقيها أنهم رأوا دمعة حائرة فى إحدى عينيها ..

ولعلها قد تأثرت عندما سمعت قصة ذلك القصر المبهر الذى بناه أحد أباطرة الهند القدامى تعبيرا عن محبته لزوجته ، وظل قائما حتى الآن شاهدا على قصة حب بين زوجين كان الزوج إمبراطورا والزوجة امرأة من أسرة نبيلة .. مثل تشارلز وديانا مع فارق أن الآخيرين أصبح حبهما مفقودا .

ربما تحس الآن بأنها كانت حالمة أكثر من اللازم ، وأنها استيقظت فجأة من أحلامها على أرض الواقع الوعرة المليئة بالمتاريس والمطبات .. وصممت بكل ما لها من إرادة على أن تعبر الوعورة وتجتاز المتاريس وتتخطى المطبات ..

كانت أقوى العقبات التى تقف فى طريقها هى تقاليد الأسرة المالكة المتزمتة .. ولكن ديانا لم تجد بدا من تحدى هذه التقاليد . وفى وسط معركتها غير المتكافئة مات والدها .. ووجدت نفسها وحيدة أمام العاصفة . ولكنها ازدادت تصميما على الاستمرار فى التحدى ، وغص حلقها بصيحات انتحارية طالبة انقاذها من حياة زوجية ترى أنها تحطمت بالفعل .

إلى أن كان لها ما أرادت .. وصدر البيان الذى يعلن انفصال أمير ويلز عن أميرة ويلز ، بعد أن اقتنع الجميع بأنها لم تكن تصلح له كما أنه لم يكن يصلح لها بصرف النظر عن من هو المخطئ ومن هو الأكثر خطأ ، وعما إذا كان الأمير قد خان الأميرة أو العكس ، وعما إذا كانت الشائعات التى ترددت كثيرا ونشرتها صحف الإثارة عن مكالمات تليفونية سرية لكل من الأمير والأميرة مع طرف آخر أو أكثر .. صحيحة أم غير صحيحة ..

كارلوس منعم

البحث عن الجذور

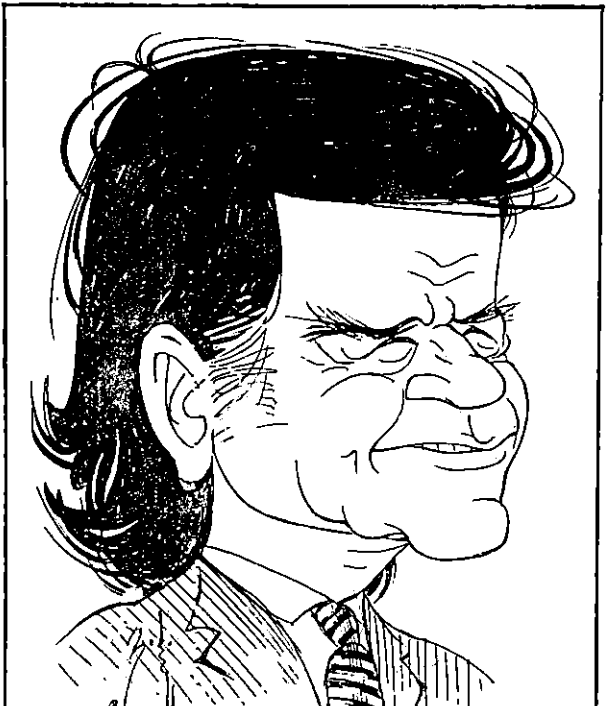

لو لم يصبح رئيسا .. لكان الآن أحد نجوم الكرة .. ولكنه اختار الملعب السياسى بدلا من ملعب كرة القدم ، لأنه اراد أن يكون اللاعب الأوحد الذى « يشوط » ويطلق الصفارة فتصفق له الجماهير .

ومنذ خمس سنوات اشترك بالفعل فى مبارة كرة قدم فى استاد بوينس ايريس حيث استعار الفانلة رقم ٥ ، واختار أشهر لاعب في بلاده ، وهو مارادونا لكى يعطيه التمريرات التى يسدد بها الأهداف .

اسمه الأصلى أنور عبد المنعم والده مسعود عبد المنعم هاجر فى عام ١٩١٣ من قرية يبرود السورية القريبة من الحدود اللبنانية ، حيث توجه إلى ميناء بيروت واستقل سفينة حملته إلى « الدنيا الجديدة » . والقت السفينة مراسيها على شواطىء الارجنتين ووجد الأهالى هناك يشيرون له بلقب « التركى » ولم يكن هو وحده الذى يحمل هذه الصفة ، وإنما جميع المهاجرين القادمين من المشرق العربى ،ففى ذلك الوقت كانت سوريا جزءا من الامبراطورية العثمانية ، وكانت نظرة العالم الجديد لا تفرق بين السورى والتركى .

وبعد أن استقر الحال لمسعود عبد المنعم فى ريف الارجنتين ، عاد إلى مسقط رأسه ، حيث تزوج فتاة من قرية صنير المجاورة لقريته ، اسمها مهيبة عقيل ، ثم رحل هو وعروسه إلى الارجنتين لكى يقيما هناك بصفة دائمة .

وفى يوم ٣ يوليو ١٩٣١ رزق مسعود ومهيبة بأول مولود لهما وأسمياه أنور .

وبعد أن تلقى أنور عبد المنعم تعليمه الأساسى فى ريف الارجنتين ، درس القانون فى جامعة قرطبة ، وبعد التخرج عمل مستشارا قانونيا للاتحاد العام للعمال ، ثم أراد أن يرشح نفسه لمنصب الحاكم فى المقاطعة الريفية التى ولد ونشأ بها ولكنه سرعان ما سحب ترشيحه لأن أهالى المقاطعة لا يمكن أن يختاروا حاكما مسلما ثم رأى أنه لكى ينجح فى الانتخابات فلابد له أن يغير ديانته واسمه ، فتحول من الاسلام إلى الكاثوليكية ، وهى مذهب الاغلبية هناك ،ومن أنور إلى كارلوس ، واختصر لقب أسرته من عبد المنعم إلى منعم ، واتهمه خصومه بالانتهازية ، ولكنه نجح .

وكحاكم مقاطعة ، اتيح له أن يلتقى بالرئيس الأرجنتينى الراحل خوان بيرون ،الذى كان يتزعم حزب « العدالة » فانضم إلى نفس الحزب ، وصعد بسرعة فى درجاته حتى أصبح من أقرب المقربين إلى بيرون وزوجته الأولى إيفا .

وعندما وقع الانقلاب العسكرى عام ١٩٥٥ ضد بيرون ، وأدى إلى خلعه ونفيه إلى أسبانيا .. فإن الانقلابيين خلعوا منعم أيضا ضمن حركة التطهير التى شملت كل العناصر « البيرونية » ووجد نفسه يتحول من « حاكم مقاطعة » إلى معتقل وأمضى فى السجن سنتين ونصفا ، وبعد الافراج عنه حددت إقامته لمدة ستة شهور أخرى .. وانتظر لمدة عشر سنوات إلى أن جاء الفرج .

وبعد سلسلة انقلابات عاد بيرون من منفاه فى عام ١٩٧٣ لكى يتولى الرئاسة مرة أخرى وطار منعم إلى أسبانيا لكى يرافقه فى رحلة العودة بالطائرة إلى بيونس ايريس ولكن بيرون توفى بعد عشرة أشهر ، فتولت زوجته الثانية ايزابيللا — فتاة الكبارية السابقة — رئاسة الجمهورية حيث أصبحت أول امرأة تتولى الرئاسة فى القارة الأمريكية .

وبعودة بيرون عاد منعم لترشيح نفسه حاكم لنفس الولاية ، ثم أعيد انتخابه لفترة ثالثة ، وفى عام ١٩٧٦ وقع انقلاب ضد ايزابيللا بيرون ، وعادت البلاد إلى الحكم العسكرى ، ثم قامت حرب فوكلانديز لأرجنتين وبريطانيا ، عام ١٩٨٢ وانتهت بهزيمة وسقوط احكم العسكرى فى الارجنتين ، ثم محاكمة اثنين من الرؤساء العسكريين وإدانتهما . وعادت الديمقراطية اعتبارا من عام ١٩٨٣ ولكن البلاد تعرضت لازمة اقتصادية مفجعة حتى بلغ

معدل التضخم ٦٠٠٠ فى المائة .. عندئذ تقدم منعم ببرنامج للاصلاح الاقتصادى ، ووعد بتنفيذه إذا تولى الرئاسة ، وجعل شعاره فى المعركة الانتخابية « اتبعونى فأنا لن أخذلكم » ، ونجح واستطاع بالفعل أن يهبط بمعدل التضخم حتى وصل إلى ١٥ فى المائة .

إلا أنه خلال السنوات الثلاث الأولى له فى الرئاسة وقعت أربع محاولات انقلاب ضده ، وفى المحاولة الرابعة نشبت معارك دامية فى قلب العاصمة استمرت ١٨ ساعة .

وفى مايو الماضى بدأ منعم فترة رئاسته الثانية لمدة أربع سنوات ولكنه الآن بلا زوجة ، فقد طلق زوجته سليمة – وهى أيضا سورية الأصل ومسلمة – وبعد سلسلة فضائح ظلت تشغل الصفحات الأولى للصحف المحلية والعالمية لعدة شهور .

ومن بين ما قالته هذه الصحف أن منعم كان يخفى الفتيات الجميلات فى دولاب الملابس وتحت السرير ، وكانت الزوجة تمضى كل نهارها فى الخناق معه ، ثم توقظه فى الليل لكى تستأنف خناقاتها .

وفى إحدى الليالى لجأ منعم إلى رجال الأمن بقصر الرئاسة فاستدعاهم للدخول إلى غرفة نومه لكى يخرجوا زوجته بالقوة وينقلوها إلى أى غرفة أخرى ثم إلى خارج القصر كله . وعندما

حاولت أن تعود منعوها من الدخول ، فطلبت الطلاق وحصلت عليه فى مايو ١٩٩٠ بعد زواج دام ٢٥ سنة ،وأثمر شابا وشابة .

وبعد الطلاق تساءل كل نساء الارجنتين : هل قصر الرئاسة من حق الزوجة .. ؟ وتضامن الابن والابنة مع أمهما ثم لقى الابن مصرعه قبل أن يتم ٢٦ سنة فى حادث سقوط طائرة .

وحكمت المحكمة للزوجة المطلقة بمؤخر ١٢ ألف دولار ، ولكن الزوج المطلق استأنف الحكم ، حيث قال إن مرتبه الرسمى ٢٢٠٠ دولار فقط .

وبعد سنة ونصف من الطلاق حصل منعم على لقب « أشيك » رجل فى العالم .. كان ذلك فى ديسمبر ١٩٩١ ، أما التى حصلت معه على لقب « أشيك » امرأة فى العالم فكانت الامبراطورة السابقة ثريا ، الزوجة الأولى لشاه ايران الراحل ، وهى أيضا مطلقة .

ومن انجازات منعم أنه أعاد العلاقات الطبيعية مع بريطانيا منذ خمس سنوات وقال إنه يريد أن يطير إلى لندن لكى يتصالح مع السيدة مارجريت تاتشر فى ذكرى مرور عشر سنوات على حرب فوكلاند ، ولكن طلبه هذا لم يلق استجابة فى ذلك الوقت من « المرأة الحديدية » .

وفى نوفمبر الماضى كانت الأميرة ديانا هى التى جاءت لزيارته ولفتح صفحة جديدة فى العلاقات بين الدولتين .

ويستضيف منعم فى قصر الرئاسة نجوم الكرة والفن والموضة ، وكان آخر من استضافهم نجمة الاغراء كلوديا شيفر .

ولديه اهتمام خاص بتصفيف شعره ، ويقال إنه زرع فى رأسه ٤٨ الف شعرة سوداء لكى يتغلب على الشيب ، وله حلاق خاص فى الرئاسة يتقاضى ٤ آلاف دولار شهريا ، ويرافقه فى كل رحلاته إلى الخارج على طائرته الخاصة التى يسميها « تانجو رقم ١ » وتتسع لعشرين شخصا . وهو يقول : ان تسريحة شعرى هى إحدى حرياتى الشخصية .كذلك فهو حريص على اختيار ملابسه المزركشة بنفسه وانتقاء الألوان الفاقعة .

والأرجنتين كانت واحدة من الدول المرشحة لدخول النادى الذرى ، ولكنها وافقت أخيرا على مد معاهدة حظر انتشار الأسلحة الذرية إلى ما لا نهاية .

وإلى الأرجنتين هرب واحد من أشهر مجرمى الحرب العالمية الثانية ، وهو ادولف ايخمان ، وظل مختفيا هناك منذ نهاية الحرب إلى بداية الستينات عندما تمكنت الأجهزة الإسرائيلية من الإمساك به ونقله سرا إلى تل أبيب حيث جرت محاكمته وصدر عليه حكم بالأعدام ، ونفذ فعلا ، ثم أحرقت جثته والقى رمادها إلى البحر الأبيض المتوسط بناء على وصيته !

مرة واحدة سعى [illegible] إلى البحث عن جذوره ، حيث زار

سوريا عام ١٩٦٤ عندما كان عمره ٣٣ سنة ، وأمضى فى قريته « يبرود » خمسة شهور . كما ترك ابنته الوليدة هناك لكى تتربى على تقاليد وأخلاق الريف السورى . ولم تجىء إلى الارجنتين إلا بعد أن بلغت العشرين .

وبعد أن أصبح رئيسا ، زار سوريا مرة أخرى ضمن جولة بالشرق الأوسط بدأها باسرائيل ، وعندما وصل إلى دمشق قال للرئيس السورى حافظ الأسد أن الإسرائيليين أبلغوه بأنهم مستعدون للانسحاب « الكامل » من الجولان ، ثم تبين له أنه حدث خطأ فى الترجمة .

وفى عام ١٩٩١ اقترح أن يعقد المؤتمر الدولى للسلام فى بيونس ايريس بدلا من مدريد ، ولم يؤخذ باقتراحه .

وكانت إحدى هواياته هو مشاهدة سباق السيارات ، ثم توقف عن هذه الهواية بعد مصرع ابنه ..

هيلموت كول

الزعيم الأوحد

انتقادات عنيفة تعرض لها المستشار الألمانى هيلموت كول داخل البرلمان بسبب أسلوب معالجته لمشكلات الوحدة الالمانية .

واشتدت هذه الانتقادات قبل أيام قليلة من العيد الثانى لإعادة توحيد المانيا ، هذا التوحيد الذى قام فيه كول بالدور الأكبر حتى اعتبره الكثيرون « الزعيم الأوحد » بمعنى إنه هو الذى « وحد » الألمانيتين وأيضا بمعنى أنه هو الذى حقق « وحده » هذه الوحدة التاريخية .

الآن وبعد ستة أعوام من أكبر حدث ألمانى منذ الحرب العالمية الثانية .. يأتى من يشككون فى مقدرة كول على الزعامة وعلى الاستمرار فى قيادة البلاد .

بل أنه هو نفسه قد اعترف بارتكاب بعض الأخطاء فى معالجته للمشكلات الاقتصادية الخاصة بالجزء الشرقى من المانيا الذى رزح تحت نير الشيوعية حوالى ٤٠ سنة ، وقال – بشجاعة – إنه يتحمل مسئولية استمرار الفجوة القائمة حتى الآن بين الولايات الغربية الاحدى عشرة – والولايات الشرقية الخمس ، وهذه الأخيرة يسمونها الآن الولايات المتحدة الجديدة – لأنها لم تندمج مع « جمهورية المانيا الاتحادية » إلا عام ١٩٩٠ .

هذا الزعيم الأوحد قام بزيارة سرية إلى البنك المركزى الألمانى منذ أربع سنوات لإقناع رئيسه وكبار المسئولين فيه بضرورة الاسراع بتخفيض أسعار الفائدة على الودائع والقروض المصرفية .

وهو قد لا يهمه استقرار أسواق النقد العالمية بقدر ما يهمه زيادة صادرات المانيا إلى سائر دول العالم ، وهذه الزيادة لا تتحقق إلا إذا انخفض سعر المارك بالنسبة إلى سائر العملات الأخرى .

منذ خريف عام ١٩٨٩ أصبحت قضيته الأولى وشغله الشاغل هو إعادة توحيد ألمانيا .. ففى ذلك الخريف قامت الثورة الشعبية فيما كان يسمى « جمهورية المانيا الديمقراطية » وحطم الشعب سور برلين ، ومحا الحدود التى كانت ممتدة من مدينة لوبيك على ساحل بحر البلطيق شمالا ، إلى تخوم ولاية بافاريا جنوبا ، وهى الحدود التى رسمها الحلفاء بعد انتهاء الحرب العالمية الأخيرة . لكى تشطر المانيا إلى دولتين متنابزتين متصارعتين .

وطوال سنوات الحرب الباردة ظلت قضية تقسيم المانيا هى المشكلة الساخنة فى أوروبا ..وظل العالم مهددا بنشوب حرب ساخنة جديدة . بسبب تقسيم العاصمة برلين ، وبسبب السور الذى كان يحاصر الشطر الغربى من برلين ويجعل منه جزيرة منعزلة وسط بحر من العداء الشيوعى .

ففى أوائل فبراير ١٩٤٥ ، اجتمع رؤساء وأقطاب ثلاث من

دول الحلفاء – هى الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، والاتحاد السوفيتى – السابق – فى منتجع يالطا على الساحل الشمالى للبحر الاسود لكى يبحثوا وسائل الاجهاز على المانيا النازية ، ورسم خطوط وحدود عالم ما بعد الحرب .

وانتهت معارك الحرب العالمية الثانية – فى الجبهة الأوربية – بعد ثلاثة شهور باستسلام المانيا النازية .

ودار التاريخ دورة كاملة ، وخرجت دول أوروبا الشرقية على الهيمنة السوفيتية ، وانفرط عقد حلف وارسو ، وتحلل الاتحاد السوفيتى ، إلا أن القضايا التى اثيرت فى يالطا منذ ٥١ سنة عادت تثار من جديد ، منذ حوالى سبع سنوات ، وفى مقدمتها مستقبل المانيا ، فقد كانت المانيا – بسبب هزيمتها فى الحرب – قد خسرت أجزاء هامة من أراضيها ، ضمت قسرا إلى كل من بولندا وروسيا ، وهذه الأراضى المقتطعة كانت تشمل ثلاث ولايات تقع إلى الشرق من خط اودرنيسه ، الذى يشكل الآن الحدود مع بولندا .

وعندما بدأ الحديث جديا فى أوائل عام ١٩٩٠ عن إعادة توحيد ألمانيا .. ظهرت المخاوف من أن تشرع المانيا بعد إعادة توحيدها فى المطالبة بالأراضى المقتطعة منها وإعادة الحدود إلى ما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، الأمر الذى كان من شأنه أن يثير من جديد النزاعات الاقليمية مع كل من بولندا وروسيا ، وهى نفس النزاعات التى أدت فى الماضى إلى نشوب أكبر حربين عالميتين . من هنا راح

المستشار الالمانى يبذل المساعى الحقيقية ويعالج الحساسيات القديمة فى محادثات مطولة ودؤوبة مع زعماء « المانيا الشرقية » ومع أقطاب الحلفاء الأربعة المسئولين بالدرجة الأولى عن تقسيم المانيا فى عام ١٩٤٥ .

ورأى كول أنه لابد من البدء فى إقامة وحدة اقتصادية ومالية بين دولتى المانيا كخطوة أولى ضرورية نحو الوحدة السياسية .. وقد بدأ فعلا بتوحيد العملة النقدية ، وهو الأمر الذى اعتبره الكثيرون معجزة المانية ثانية ، تضاف إلى المعجزة الأولى التى حققها المستشار الراحل اديناور ووزير الاقتصاد الراحل ايرهارد بإعادة بناء المانيا « الغربية » بعد الحرب .

وحذر كول من أن أى محاولة للوقوف فى وجه الوحدة الالمانية ستؤدى إلى كارثة فى كل أوروبا ، وأن البديل الوحيد لإعادة الوحدة الالمانية هو الانهيار الاقتصادى الكامل لـ « المانيا الشرقية » .

وقال الأوروبيون أن كل هو بسمارك الجديد الذى استطاع فى سبعينات القرن الماضى أن يوحد الممالك والدويلات الالمانية .

وفى بداية خريف عام ١٩٩٠ اجريت أول انتخابات حرة فى « المانيا الشرقية » ونزل كول المعركة للدعوة إلى انتخاب مرشحى جناح الحزب الديمقراطى المسيحى الذى يتزعمه منذ عام ١٩٧٣ . والذى تحقق له الفوز بالفعل ، ومن ثم أمكن اجتياز أكبر عقبة فى طريق الوحدة السياسية .

وفى البداية كان هناك اقتراح بأن تنتهج المانيا الموحدة سياسة الحياد فتنسلخ من عضوية كل من حلفى الاطلنطى ووارسو وتصبح مثل النمسا وسويسرا ، وهما أيضا دولتان متكلمتان بالالمانية ، ولكن حلف وارسو كان قد انفرط عقده واصر كول على أن تتم الوحدة مع استمرار بقاء المانيا الموحدة عضوا فى حلف الاطلنطى .

وكان كول فى فترة ما قبل الوحدة يبدو طموحا بلا حدود ، وهو الآن فى الدورة الرابعة فى الحكم ، ويطمح إلى البناء لدورة خامسة ، وربما كان مرجع طموحه أنه مولود فى برج الحمل فإن مواليد هذا البرج يتميزون بأن لديهم روح الريادة والتجديد والابتكار ويحسنون استغلال الفرص المتاحة ولا يجدون مشقة فى تحقيق النجاح . ولهم جاذبية خاصة وقوة « كاريزمية » ويعرفون كيف يتعاملون مع الآخرين ، ولهم أهداف محددة يلتزمون بها ، وهذه الأهداف قد تكون معقولة ومشروعة ، وقد تكون غير معقولة .

ومن مواليد هذا البرج أيضا : الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا وأمبراطور اليابان الراحل هيرو هيتو والفنان العالمى شارلى شابلن ورئيس كوريا الشمالية كيم ايل سونج والزعيم النازى اودلف هتلر الذى أورد المانيا مورد الهلاك باطماعه اللامعقولة واللامنطقية المتمثلة فى ضرورة سيادة الجنس الآرى على كافة أجناس العالم .

فاتسلاف هافيل

« مينى » رئيس

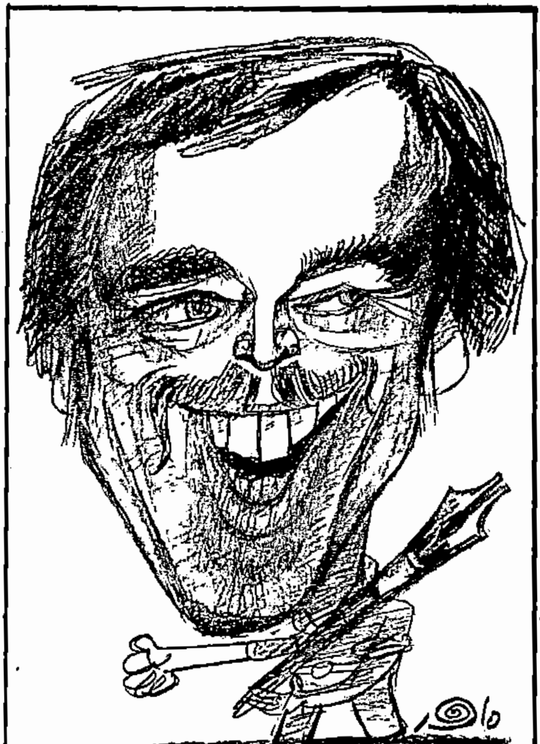

حدثت المفاجأة مرتين .. ففى بداية عام ١٩٩٣ وقع اختيار البرلمان التشيكى على الكاتب المسرحى فاتسلاف هافيل رئيسا لجمهورية التشيك التى هى نصف جمهورية تشكيوسلوفاكيا السابقة وكانت هذه هى المرة الثانية .

أما المفاجأة الأولى فقد وقعت قبل ثلاث سنوات تماما ، عندما كانت تشيكوسلوفاكيا لا تزال تخضع للنظام الشيوعى ، وكان غالبية أعضاء البرلمان من الشيوعيين ، ومع ذلك فقد آثروا أن ينتخبوا - بالاجماع - رئيسا معاديا للشيوعية .. ظل طوال أكثر من عشرين سنة يناضل ضد احتكار الحزب الشيوعى لسلطة الحكم ، وكانت السلطات الشيوعية لاتكاد تفرج عنه حتى تعيد اعتقاله ، ووصفوه بأنه « العدو الأول للاشتراكية » ومع ذلك فقد انتهى به الأمر فى يناير ١٩٩٠ باختياره - بالاجماع وبلا منافس - رئيسا لكل تشيكوسلوفاكيا .

أما فى عام ١٩٩٣ فقد أصبح رئيسا لنصف الجمهورية التى ظل يرأسها لمدة سنتين ونصف السنة قبل أن يستقيل احتجاجا على تقسيم البلاد إلى جمهوريتين وهى التى ظلت متحدة لنحو ثلاثة أرباع قرن .

وبدلا من الاجماع الذى تحق له قبل ثلاث سنوات ..فإنه فى المرة

الثانية كان له منافس قوى كاد ينتزع منه رئاسة هذا الشطر الغربى المتاخم لالمانيا الذى يطلقون عليه الآن اسم جمهورية التشيك ، وهذه الجمهورية « المينى » هى نفسها مملكة بوهيميا القديمة التى كانت منارا للثقافة والعلوم فى وسط أوروبا منذ ستة قرون ، وما زالوا يطلقون على عاصمتها براج اسم « العاصمة الذهبية » حيث تضم بين مبانيها نحو ٣ آلاف أثر تاريخى ما بين قلاع وحصون ودور عبادة ، وكل أثر فيها عليه طلاء بماء الذهب .

ومدينة براج هى التى وقع عليها الاختيار لتقديم العرض الأول لأوبرا « سان جيوفانى » التى أبدعها موتسارت منذ أكثر من مائتى سنة ،وكان موتسارت نفسه قد تردد على هذه المدينة أكثر من مرة وقدم فيها بعض أعماله وهو فى بداية حياته ، ثم وضع سيمفونية فى أواخر أيامه أسماها سيمفونية براج » .

كذلك فإن جمهورية التشيك قدمت للسينما العالمية النجمة الشهيرة هيدى لامار ، كما أن الروائى العالمى كافكا كان أيضا تشيكيا رغم أنه كتب أعماله باللغة الالمانية . ومن أشهر مدن جمهورية التشيك مدينة كارلوفى فارى التى كانت تنظم كل عامين مهرجانا عالميا للسينما وكانت مصر تشترك فيه بشكل منتظم .

لم يكن غريبا على مثل هذه الجمهورية الجديدة « المينى » أن تختار مؤلفا مسرحيا رئيسا لها .. بل أنه كان من الطبيعى أن تعيد

انتخابه كنوع من رد الاعتبار أو « نصف الاعتبار » بعد أن خذلته جمهورية سلوفاكيا التى انشطرت عن الوطن الأم !

ولأنه يرأس الآن نصف دولة أو دولة « مينى » فإن الأصوات المؤيدة له كان عددها أيضا « مينى » ففى خلال جلسة عاصفة حصل على ١٠٩ أصوات من مجموع ٢٠٠ صوت ..فى حين أنه فى المرة الماضية حصل على أصوات كل أعضاء البرلمان .. فهو هذه المرة « مينى رئيس » يحكم « مينى دولة » بأصوات « مينى » .

وأثناء الاقتراع تلقى جهاز الأمن بالبرلمان تهديدا بوجود قنبلة توشك أن تنفجر ، وجرى إخلاء قاعة البرلمان من كل الأعضاء ، وبعد التفتيش لم يمكن العثور على شىء وعاد الأعضاء إلى مقاعدهم لكى يستأنفوا عملية التصويت .

ولو أن هافيل نفسه كتب مسرحية منذ شهرين فقط « يتخيل » فيها ما حدث فى جلسة البرلمان هذه بالمقارنة بما حدث قبل ثلاث سنوات لاتهمه الكثيرون بأنه « شطح » كثيرا فى خياله ..فهو فى البداية كان يرفض تماما ترشيحه لمنصب « مينى رئيس » .. ولكنه عاد فقبل تحت ضغط أنصاره ومحبيه !

والقاعة التى جرت فيها عملية الاقتراع ترجع إلى العصور الوسطى ، حيث افتتحت منذ نحو خمسمائة سنة ، وهى إحدى

قاعات القلعة التاريخية التى تطل من أعلى على مدينة براج ونهر الفلتافا ، وظلت هذه القاعدة زهاء خمسة قرون تشهد حفلات تتويج ملوك بوهيميا إلى أن تقرر تحويلها مع مجئ النظام الجمهورى إلى قاعة للبرلمان .

ويتميز هافيل بأنه مفرط فى الخجل والتواضع ، كما أنه مفرط أيضا فى التدخين ، وقد جاء مولده فى العاصمة الذهبية يوم ٥ أكتوبر ١٩٣٦ ، وكان ينتمى لاسرة ميسورة الحال ، ولم يكد الشيوعيون يتولون الحكم عام ١٩٤٨ حتى صادروا كل ممتلكات الأسرة وعندما أراد أن يلتحق بالجامعة وجد جميع الكليات تغلق أبوابها فى وجهه لأنه من « الطبقة الرأسمالية » .

واضطر فى النهاية إلى الالتحاق بأحد معاهد الدراسات الليلية ، وسرعان ما عشق المسرح .

وبدأ حياته العملية فى الاشتغال وراء الكواليس ، ثم ترتيب المناظر ، ثم فى الاضاءة وجرب حظه فى الاخراج ، واستقر فىالنهاية على التفرغ لكتابة المسرحيات .

أول مسرحية كتبها كانت بعنوان « حزب الحديقة » وعرضت لفترة قصيرة عام ١٩٦٣ فى براج ، ولكن السلطات لم تلبث أن حظرت عرضها ، حيث رأت فيها رفضا للنظام الشيوعى القائم ، وكتب مسرحية أخرى عرضت عام ١٩٦٥ تحت اسم « المذكرة »

وترجمت فيما بعد إلى العربية ونشرت مسلسلة فى مصر وبعد هاتين المسرحيتين قال النقاد أن هافيل كاتب واعد ، وتنبأوا له بأنه سيكون من أبرز كتاب جيله فى كل أوروبا .

وعندما غزت قوات حلف وارسو أراضى تشيكوسلوفاكيا فى صيف عام ١٩٦٨ .. قرر أن ينزل إلى معترك السياسة ، وقال لم يعد من الممكن أن أتخذ موقف المتفرج .

وكتب عدة مقالات يدعو فيها إلى قيام أحزاب معارضة ففصلوه من العمل فى المسرح ، وحظروا عرض مسرحياته نهائيا .. وعاش سنوات على إيراد عرض مسرحياته فى دول الغرب ، ولكن هذا العائد لم يكن يكفيه ، واضطر للعمل فى معمل لتقطير الخمور ، واستوحى من هذا العمل مسرحية من فصل واحد باسم « المحادثة » .

واعتقلته السلطات ثم أفرجت عنه ، ثم فتشت شقته وصادرت آخر مسرحية له بعنوان « التجديد » وهى التى عرضت فى مدينة زيوريخ بسويسرا فى سبتمبر ١٩٨٩ ، كما عرضت له مسرحيات أخرى فى برودواى ولندن وفيينا .

ومن داخل سجنه كان يكتب رسائل إلى زوجته يصور فيها حياة السجن ومفهومه لمعانى الحرية والمسئولية الأدبية ونشرت صحف الغرب مقتطفات منها تحت عنوان « رسائل إلى أولجا » .

وكان آخر مقال نشره بعنوان « قوة الذين لا سلطة لهم » ، وقد أثار عليه حنق السلطات الشيوعية أكثر من أى عمل آخر .. ومع ذلك فإنه مازال حتى الآن يقول أنه يتوق إلى العودة للكتابة وإلى جو النضال والاعتقالات .. !

والشعار المكتوب على علم رئاسة الجمهورية الذى يرفرف فوق قلعة براج هو « الحق يعلو » .. وكان أول من أطلق هذا الشعار هو توماس مازاريك أول رئيس لتشيكوسلوفاكيا خلال الفترة ١٩١٨–١٩٣٥ ، وقد اشتهر بإنجازاته الكبيرة فى بعث التنوير والثقافة فى البلاد والمقارنة التى يجريها الأهالى هناك الآن هى بين مازاريك وهافيل .

وخلال فترات الاضطهاد التى تعرض لها .. عرضت عليه أكثر من دولة غربية أن يلجأ إليها ولكنه كان يرفض دائما .

ومنذ ١٦ سنة اشترك مع مجموعة من المفكرين الأحرار فى التوقيع على ميثاق ١٩٧٧ الشهير الذى يطالب بتطبيق حقوق الإنسان فى تشيكوسلوفاكيا . وأصبحت هذه المجموعة تحمل اسم « مجموعة ميثاق ٧٧ » نسبة إلى السنة التى صدر فيها هذا الميثاق .

وفى خريف عام ١٩٨٩ شكل مع مجموعة أخرى من دعاة الاصلاح « المنتدى المدنى » الذى أصبحت حزب المعارضة الرئيسى ،

واشترك مع عدد من الأحزاب الأخرى فى وضع ملامح مستقبل الديمقراطية والتعددية الحزبية بعد سقوط النظام الشيوعى .

وخلال رئاسته السابقة لتشيكوسلوفاكيا زار مصر فى ديسمبر ١٩٩١ .

بيرس
الحـائر

فى نوفمبر ١٩٩٦ أصبح محط أنظار العالم كله مرة ثانية إثر اغتيال رئيس الوزراء إسحق رابين .

اسمه الحقيقى شمعون بيرس ، كما يكتب وينطق فى لغته الأصلية ، ولكن الصحف العربية عموما دابت على كتابته « شيمون بيريز » على نحو ما يكتب بالحروف اللاتينية .

وهو نفسه لا يعرف اللاتينية ، ولكنه يجيد الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية بالإضافة إلى العبرية .

ومنذ ست سنوات أصبح محط انظار العالم للمرة الأولى انتهت المهلة الثانية التى أتاحها له رئيس الدولة لتشكيل وزارة جديدة ... حيث دأب طوال الأسابيع الستة الماضية على محاولة جمع أصوات ٦١ من أعضاء الكنيست وكان كلما كسب نائبا جديدا .. يفاجأ بهروب نائبين ، وكلما نجح فى إقناع حزب بالائتلاف معه وجد حزبا آخر ينسلخ عنه !

الذين أيدوه فى البداية لم يلبثوا أن انقلبوا عليه ، والذين وعدوه بالوقوف بجانبه لم يفوا بوعدهم .

ولم ييأس .. وإنما ظل مثابرا حتى آخر دقيقة فى آخر مهلة أتيحت له .. وفى اللحظة الأخيرة ،قال كلمته الأخيرة وانتهت

فترة حيرته بين الانصار الذين يتحولون إلى خصوم والخصوم الذين يؤيدون ثم يخذلون .

منذ الانتخابات العامة التى جرت فى نوفمبر ١٩٨٨ وانتهت إلى ما يشبه التعادل بين الحزبين الكبيرين الليكود والعمل .. ظل بيرس يشغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير المالية فى الحكومة التى يرأسها إسحق شامير والتى تضم ائتلافا للحزبين وتطلق على نفسها اسم حكومة الوحدة الوطنية .

وفى بداية مارس ٩٠ انهارت « الوحدة الوطنية » وتبعثر الائتلاف الحاكم .. حيث أقدم شامير على إقالة بيرس ، وعلى الأثر أعلن سائر وزراء حزب العمل التضامن مع زعيمهم والانسحاب الجماعى من الحكومة .. وهكذا أصبح شامير يرأس « حكومة عرجاء » .

وفى منتصف مارس طرح بيرس فى البرلمان مشروع قرار بسحب الثقة من هذه الحكومة التى فقدت نصف أعضائها .. وللمرة الأولى فى تاريخ إسرائيل اقترع البرلمان بأغلبية ٦٠ صوتا (النصف تماما) بحجب الثقة عن شامير وحكومته ..

وعلى الأثر بدأ بيرس جهده الدءوب لتجميع أصوات ٦١ نائبا يمنحون الثقة لحكومته المرتقبة .

وأعطيت له مهلة أولى لمدة أربعة أسابيع ثم مهلة ثانية لمدة

أسبوعين .. وخلال هذه الأسابيع الستة شهدت إسرائيل عمليات ضغط وتهديد وترغيب وترهيب .

ففي يوم ذكرى المحرقة الذى صادف يوم ٢٢ إبريل ١٩٩٠ عثر أحد نواب حزب شاس (حراس التوراة) – وهو حزب خاص باليهود الشرقيين ، على علامة الصليب المعقوف مرسومة على سيارته ..وهذه العلامة هى رمز النازية . والنازية هى التى ساقت يهود أوروبا إلى المحرقة أثناء الحرب العالمية الثانية .. كما وجد أن الذين رسموا هذه العلامة قد ثقبوا أيضا إطارات السيارة ! وتركوا له ورقة مكتوبا عليها الموت للخونة » !

هذا النائب اسمه يائير ليفى ، وكان واحدا من خمسة نواب من نفس الحزب صوتوا بحجب الثقة عن حكومة شامير .

وهذا الحزب ككل الأحزاب الدينية – تميل تقليديا إلى تأييد الليكود .. إلا أن الزعيم الدينى للحزب الحاخام عوفا ديا يوسف رأى أن شامير يماطل فى عملية السلام ، فأوعز إلى الحزب بأن يغير وجهته وأن ينحو إلى اسقاط شامير وتشجيع بيرس على تشكيل حكومة جديدة من حزب العمال ..

ولم يكن يائير ليفى هو الوحيد من أعضاء حزب شاس الذى تعرض لهذا التهديد .. فهناك أيضا أحد زعماء الحزب وهو الحاخام اربيه درعى الذى كان وزيرا للداخلية فى حكومة شامير .. فقد تلقى تهديدات بالقتل مما أوجب تشديد الحراسة على منزله .

كذلك لم يكن حزب شاس هو الوحيد الذى وجهت له التهديدات ، فقد نال التهديد حزب « اجودات إسرائيل » وهو أيضا حزب دينى كان قد وافق على تأييد بيرس وفى أول اجتماع لأعضاء الحزب بعد هذه الموافقة فوجئوا بعلب الغاز تلقى عليهم فى قاعة الاجتماع .

بل إن التهديدات وصلت إلى رئيس الدولة حاييم هيرتسوج فى ذلك الوقت حيث كان من بين زوار قصر الرئاسة من تركوا نشرات تتضمن التهديد بقتل رئيس الجمهورية لأنه أتاح الفرصة أمام بيرس لتشكيل ائتلاف وزارى بدون الليكود .

وفى البداية كانوا يقولون إن هذه التهديدات تصدر عن جماعات متطرفة ضئيلة العدد ، تحاول إحباط أى محاولة جادة للسلام ، وتشويه صورة حزب العمل وصورة بيرس نفسه باعتباره داعية سلام ، وراغبا فى التفاوض مع الفلسطينيين .

وأحدثت هذه التهديدات تأثيرها فى دفع حزب شاس واثنين من حزب اجودات إسرائيل إلى التراجع عن تأييد بيرس .

والحيرة فى حياة بيرس ليست وليدة هذه الفترة فقط ، فهو أحد التلامذة المخلصين لبن جوريون وكان واحدا من رباعى دايان – الون – بيرس – ايبان .

وهو يختلف عن دايان فى أنه ليس من « الصابرا » المولودين

فى إسرائيل ، فقد جاء مولده فى روسيا عام ١٩٢٣ وعندما أكمل ١١ سنة وجد نفسه فى فلسطين كأحد حراس المزارع الجماعية ذات التوجه اليسارى .. ولم يعجبه ، فانضم إلى حركة شباب الهستدروت ، ثم استقر فى تل أبيب لاستكمال دراسته .

وفى عام صدور قرر تقسيم فلسطين انضم إلى قوات « الهاجاناه » التى تحولت فيما بعد إلى « جيش الدفاع » ، وخلال ست سنوات أصبح مديرا عاما لوزارة الدفاع ،وكان له دور بارز فى عقد صفقات شراء السلاح من فرنسا والولايات المتحدة . وفى عام ١٩٥٨ اشترك فى عقد صفقة الأسلحة الشهيرة مع المانيا الغربية ، وهى الصفقة التى أثارت عليه حنق الأحزاب الدينية المتطرفة التى كانت ترفض كلية أى تعامل مع الألمان باعتبارهم « قتلة اليهود » .

وفى نهاية الخمسينات انضم إلى حزب « ماباى » الذى كان يتزعمه بن جوريون .. ثم تصدع هذا الحزب فى منتصف الستينات حيث انشق عنه بن جوريون وشكل حزب « راقى » ، فكان بيرس من أوائل الذين اشنقوا وانضموا للحزب الجديد .. وبعد ثلاث سنوات أخرى اندمجت جميع الأحزاب العمالية (ماباى – احدوت عافودا – رافى) فى حزب العمل الإسرائيلى الذى أصبح بيرس نائبا لزعيمه ثم عقدت له الزعامة فى إبرايل ١٩٧٧ ثم سحبت منه بعد ١٥ سنة إلى أن أعيدت إليه فى نوفمبر الماضى عقب اغتيال رابين ومن ثم رأس الوزارة من جديد .

ومن دواعى حيرة بيرس أنه لم يتلق تعليما جامعيا ولم يحصل على درجة علمية كتلك التى حازها أقرانه من صانعى السياسة الإسرائيلية .. وهو يقول إنه قد استعاض عن الدراسة الأكاديمية بعلاقات العمل والمشورة مع بن جوريون ومن قبله مع المفكر الصهيونى بيرل كاتس نلسون الذى تتلمذ عليه فى بداية حياته لمدة أربع سنوات ، وهذا الأخير هو مؤسس صحيفة « دافار » الناطقة باسم الهستدروت (اتحاد عمال إسرائيل) وظل يرأس تحريرها إلى أن توفى عام ١٩٤٤ ، كما أنشا دار نشر « علم عوفيد » أى الشعب العامل وهى أيضا تابعة للهستدروت .

ويلخص بيرس مذهبه فى السياسة والحكم بقوله : « أنا اؤمن بالحوار وليس بالأيدلوجيا الجامدة » .

وهو يتكلم خمس لغات بطلاقة رغم أنه لا يحمل أى شهادة جامعية وعند توقيع اتفاق الحكم الذاتى الفلسطينى فى سبتمبر ١٩٩٣ كان الذى دفعه عن الجانب الإسرائيلى هو بيرس ، وفى الكنيست استعان بكل خبراته فى مجال الدبلوماسية لكى يقنع نواب اليمين بأهمية الاتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية .

وقبل هذا الاتفاق جاء إلى القاهرة فى ديسمبر ١٩٩٢ ، وعقد لقاء مع تسعة من الباحثين والمفكرين المصريين الذين كان معظمهم

يعارضون معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ، وأجروا معه حوارًا ساخنًا .

وعندما تولى زعامة حزب العمل ورئاسة الحكومة لأول مرة فى منتصف الثمانينات جاء إلى مصر وعقد لقاء قمة مع الرئيس حسنى مبارك فى الاسكندرية .

وعندما قرر مجلس الوزراء الإسرائيلى - بأغلبية صغيرة - فى يناير ١٩٩٣ ابعاد حوالى ٤٠٠ فلسطينى إلى إقليم مرج الزهور بجنوب لبنان .. كان بيرس أحد أعضاء الوزارة الذين عارضوا هذا القرار .

وقد اشتهر على النطاق الدولى كزعيم اشتراكى ، وأصبح نائبا لرئيس الدولية الاشتراكية فى بداية التسعينات .

وفى إبريل ١٩٩٤ صدر له كتاب بعنوان « شرق أوسط جديد » ، وترجم إلى العربية ، وفيه يتحدث عن رؤيته المستقبلية للمنطقة ، وأيضا عن لقاءاته السرية والعلنية مع الساسة والأقطاب العرب ، كما يشير فيه إلى أنه للمرة الأولى تشترك إسرائيل و ١٢ دولة عربية فى المحادثات المتعددة الأطراف جنبا إلى جنب مع ٣٠ دولة أخرى على امتداد العالم ابتداء من كندا إلى اليابان .